الموقف الرابع

الواقعية الإسلامية والفكر الوضعى

حرص هويدى على إبراز دور الواقعية الإسلامية وفاعليتها كاتجاه يقاوم الاتجاهات المثالية التجريدية والواقعية المادية وكذلك الوضعية التجريبية، ولهذا رأيناه فى نقده لمبادىء الوضعية المنطقية يسترشد بمواقف وآراء فلاسفة العرب الذين عنوا كثيرا بمبحث الصدق واليقين فى المنطق والرياضيات والمعتقدات معا، ولكن ليس بالمعنى الذى فهمه فلاسفة الوضعية أو التحليلية عند معالجتهم لأسس اليقين فى القضايا المنطقية الرياضية، وفى ذلك يقول هويدى: إننى كلما أمعنت فى قراءة الفلاسفة الذريين والوضعيين المناطقة الذين يعيشون فى دنيا الألفاظ والجمل اللغوية، أدركت سر وعمق السبب الذى من أجله احتفظ الفلاسفة العرب فى كتبهم بباب اسمه التصديق، وسموه تصديقا لأنه مشتق من الصدق، وهم لا يشترطون أن يكون التصديق معناه وقوع الحكم أو عدم وقوعه فى الخارج، لأن هذا يكون المدلول المطابق للحكم عندما يفهم على أنه خبر، كما يقولون، بل يقصدون به فقط التصديق بتلازم النسبة بين طرفى الحكم، وأنهم بذلك ربطوا بين علم المنطق كبحث فى بناء الحقيقة وعلم المنطق كنظرية فى الصدق.[٣٧]

ومعروف أن الواقعية التى يتبناها هويدى هى واقعية إيمانية يغلب عليها الطابع الميتافيزيقى لأنها تركز اهتمامها على العلاقات بين الخالق وجميع المخلوقات، ولذا فهى تختلف كلية عن التوجهات الوضعية، أو الواقعية بجميع أشكالها، فالواقعية عند هويدى لا تكون كذلك إلا عندما تتناول العلاقة بين الله والإنسان، والعلاقة بين الإنسان والله وعالم الموجودات والأشياء، وهذه العلاقة يصفها هويدى بقوله : إنها العلاقة التى تمثل جانبا هاما من البحث الميتافيزيقى الفلسفى، بحيث يوضع الله فيها تماما على النحو الذى تضع فيه الوجود العام أمام الإنسان، وبلا حواجز، لذا ينبغى على

---

٣٧. يحيى هويدى: الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان. النهضة المصرية ١٩٧٢ ص ٥٧، ٨٨، ٩١.

الإنسان أولا أن يسد الطريق أمام نفسه بأن يفترض حلولا جاهزة من شأنها أن تكيف التساؤل الفلسفى، مع أن الميتافيزيقا ليست فى نهاية الأمر إلا تساؤلا أنطولوجيا يوقظ عاداتنا الإدراكية أمام الوجود على حد تعبير جانكليفتش.

أولا : الوجود الحقيقى والوجود الزائف

من الثابت أن الواقعية الإسلامية تنظر إلى العالم ووقائعه المادية والروحية نظرة تختلف كثيرا عن نظرة أصحاب الفلسفة الوضعية المنطقية، لذا قرر هويدى أنه يؤمن بالوجود الحقيقى الواقعى لخصائص المادة، وأن لخصائص المادة وجودا حقيقيا وواقعيا، وليس هناك ما يمنع أن تكون المعرفة فى هذا الميدان مؤسسة على التصديق، وتلك نظرة تعارض ما ذهب إليه رسل وأصحابه من فلاسفة الذرية المنطقية الذين تصوروا أجزاء العالم مجرد مظاهر للحقيقة المطلقة أو للكل، أو للإله بوصفه المطلق أو الروح الذى ينتسب إليه الواقع ككل، وأكدت الذرية المنطقية أن كل جزء من أجزاء العالم له حقيقته وكيانه فى ذاته، وأكدت أن العالم يتألف من وقائع فقط، وأنها أذابت حقيقة الأشياء فى تحليل لفظى لا طائل تحته، وجعلت هذه الحقيقة مرهونة بسلسلة طويلة من القضايا أو الجمل اللفظية التى تحيلنا كل جملة منها إلى جملة أخرى إلى غير نهاية، أى إلى جمل ذرية أولية.

وأكد هويدى على أن هذا التصور يختلف كثيرا عن مذهب الذرة عند فلاسفة الإسلام وعلماء الكلام وخاصة الأشاعرة الذين افترضوا وجود الذرات ليخدموا بها مسألة حدوث العالم، ومسألة وجود الله باعتباره خالقا للكون. ويقارن هويدى هنا بين موقف رسل وفتجنشتين وبين موقف الأشاعرة، فبينما قال أصحاب الوضعية بالذرات تفاديا لتصور الإله الخالق وباعتباره الحقيقة المطلقة، فإن الأشاعرة نظروا إلى الذرات بوصفها نهايات التقسيم، وأنها تمثل الوحدات البسيطة التى يقف عندها تقسيم الجسم، أما عند الذرية المنطقية فالذرات عندها تمثل نهايات التحليل المنطقى فقط، وعلى ذلك تظهر الواقعية الإسلامية التى تتصور الواقع الحقيقى فى صورة الوجود المادى، بينما يتصور أصحاب الوضعية المنطقية الوجود فى صورة الألفاظ والقضايا.

ورغم التباين الواضح بين الواقعية الإسلامية فى فكر هويدى وبين الفكر الوضعى عند أصحاب الفلسفة الوضعية المنطقية والذرية، فإن هويدى لم يقف من الفكر الوضعى موقف النقض أو الرفض التام، لأنه أدرك غاية الفكر الوضعى وسعيه الدائب للوصول إلى الحقيقة وإثباتها، وفى نفس الوقت اختلف معهم فى المنهج والأسلوب، كما أدرك بثاقب فكره أن رفض الفكر الوضعى يعنى إنكار فلسفة الواقعية الجديدة من جهة وأصالة الفكر الغربى بجميع اتجاهاته كلية، ولذا كانت وقفته الواقعية وراء قبوله للموقف العقلانى وتقديره لجهود فلاسفة الوضعية فى مجال المنطق والرياضيات، كما كان واقعيا فى وقفته النقدية عندما انتقد العديد من آرائهم ومبادئهم الخاطئة فى مجال المنطق والأخلاق،ولذا كان يفضل تسمية الوضعية المنطقية بالوضعية المنهجية أو المادية المنهجية لأنها تختلف عن الماديات والوضعيات الأخرى التى لم تكن منهجية لأنها حكمت بأحكام ميتافيزيقية وذهبت إلى أن جوهر العالم مادة فقط.

ومن الملاحظ أن العديد من الباحثين المعاصرين قد تعرضوا لموقف هويدى النقدى من الفكر الوضعى، واستطاع البعض أن يقدم رأيا وسطيا بين واقعية هويدى الإسلامية وبين فلاسفة الوضعية المنطقية، وهذا الموقف استطاع على الجابرى التعبير عنه من خلال إثبات العديد من النقاط التى يلتقى فيها فكر هويدى الواقعى وبين فكر زكى نجيب محمود ممثل الفكر الوضعى المنطقى فى مصر. وذهب الجابرى إلى أن كلاهما قد عاش فى موطن انطلقت منه واجتمعت فيه الديانات الموحدة، وأنهما عاشا ثقافة موحدة متسقة توائم بين المنقول الأصيل والمعقول فى نظرة واحدة، وأن كلاهما أدرك إمكانية الإستفادة من المعاصرة والفكر الغربى بقدر الإستفادة من الفكر العربى الأصيل. وقد انتهى الجابرى إلى رأى توافقى بين الواقعية الإسلامية التى يتمثلها هويدى فى جميع مواقفه وأفكاره، وبين الوضعية المنطقية التى ينتهجها زكى نجيب، ولذا قال صراحة: لقد جاءت حلول محمود لمشكلات المجتمع العربى متوافقة مع حلول هويدى فى:

١- انتاج الموقف الفكرى العربى فى هدى جدليات الأصالة والمعاصرة والانحطاط والنهضة، لأن زكى نجيب محمود لم يخرج عن جوهر الفلسفة الوضعية التوازنية، واعتبر الوضعية نبتة عربية الجذور عندما قال بالتوازن بين الجانب العقلى والجانب الروحى.

٢- انتاج أسباب الحياة المادية العربية اعتمادا على معطيات العلم والتقنية.

٣- إرساء قواعد حياتهم المدنية على أسس عقلانية تقوم على الحرية والمشورة واحترام الإنسان وفكرة الشركة فى المواطنة كحقوق وواجبات.
٤- النظر إلى المستقبل من خلال فكرة الزمن والحياة اعتمادا على أنفسهم ومنطقهم التاريخى من أجل استيعاب تراثهم.
٥- إدراك خطورة العيش عالة على الأمم الأخرى، مستهلكى نفايات الشعوب الفكرية والمادية من كل صنف ولون، وفى هذا اتفقت هموم هويدى ومحمود وهما يرسمان خطوط مشروعهما المعرفى، فكما وجدنا هويدى يفتش عن الهوية الفلسفية للعرب، كان محمود ومنذ عام ١٩٦٢ أى بعد عام من كتابة هويدى لدراسته عن الذات القومى والإجتماعى ومقومات الشخصية الإفريقية والأسيوية، واستنزاف الغرب لثروات العالم الثالث ويحمله مسؤلية التخلف ويتألم لغياب الحرية والسلام.
٦- الاتفاق العام على أنه لا نهضة حقيقية بغير رؤية فلسفية شمولية قائمة على المنهج العلمى وجدل الانحطاط والنهضة، فبذلك وحده تحقق الأمة العربية ذاتها وتعيد ثقة الإنسان العربى إلى نفسه.[٣٨]

ثانيا : الموقف من الآخر

مفهوم الآخر عند هويدى أنه ليس شيئا وليس إنسانا، بل هو الفكر المختلف والمعادى للحق والمنطق وطبائع الأشياء والذى يجب أن نقف منه موقفا نقديا وفلسفيا وواقعيا، ومن خلال منظور الفلسفة الواقعية الإسلامية كان لأستاذنا موقفاً من الفلسفة التقليدية المشائية وطابعها الميتافيزيقى، كما كان له موقفه من الاتجاهات الحديثة والمعاصرة وفلاسفة العصرالقديم والحديث. وقد ظهر ذلك من خلال مقالاته العديدة وآرائه التى انتقد فيها موقف أرسطو من الجوهر ووضعه للوجود فى خانات أو مستويات كل منها منفصل عن الآخر، كما رفض ما ذهب إليه أرسطو فى حذف الجوهر والتوحيد بين الماهية والجوهر على اعتبار أن الذات وحدها هى التى تدرك الماهية وأن الجوهر هو الحامل لجميع الصفات. أما موقفه من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة فقد تأثر بالمذاهب الواقعية إلى حد كبير وتأثر بآراء صمويل ألكسندر فى الواقعية الجديدة، وفى نفس الوقت عالج العديد من الأخطاء فى فلسفة كل من ديكارت وكانط وباركلى. حيث رفض نظر

---

٣٨. على حسين الجابرى: هويدى بين حيادية الفكر وانحياز الفلسفة. مجلة أوراق فلسفية العدد ٤،٥، ٢٠٠١ ص ١٣٨-١٤٠.

باركلى إلى الماهية بوصفها ماهية ذاتية أو شعورية وانتقده فى ثلاثة مواضع:

أولها: إصرار باركلى على أن الوجود معلق بالإدراك وأنه لا بد من ربط وجود الأشياء بالذات، أى أن الطبيعة يمكن أن تقرأ من خلال الذات وحدها، وأن وجود الشئ يساوى إدراكى له بالذات.

ثانيها: إنكار باركلى لقدرة المادة واستقلالها لأنها فى حاجة دائماً إلى الذات الفردية أو الإلهية إلى الأبد، وذلك فى نظر هويدى محاولة لإلقاء الجوهر، وأن وجود الشئ هو كونه مدركاً، وليس للشئ وجود آخر بعد كونه مدركاً، ولذا اعترض هويدى على قول باركلى: ليس ثمة داع لافتراض مثل هذا الجوهر، لأن الجوهر هو مجموعة من الإدراكات الذاتية، أى أن الشئ موجود لأننى أدركه أو يدركه غيرى، أو يدركه العقل الإلهى إذا لم يدركه أنا ولا غيرى.

ثالثها: رفض هويدى من منظور فلسفته الدينية محاولة باركلى الجمع بين الذات الفردية والذات الإلهية، وقرر هويدى أن هذه مغالطة كبرى وقع فيها باركلى لأنه لم يبحث مشكلة الخلق كما بحث مشكلة الإدراك والأشياء الموجودة أمام الذات بالفعل، وأن التناقض ظاهر فى قول باركلى بأن الذات الإنسانية وحدها هى التي تمنح الحياة للمادة، وأن الماهية عند باركلى هى ماهية ذاتية وليست نوعية كما كانت عند أرسطو.

وقد أنتقد هويدى صورية فلاسفة الوضعية المنطقية، لأن الصورية عندهم تعنى الهيئة العامة للعلاقات القائمة بين الكلمات فى الجملة الواحدة، بصرف النظر عما تشير إليه هذه الكلمات من معنى، وأن هذه الصورية قد أنسحبت عندهم فى الفكر والمادة مع أن المنطق الأرسطى يركز فى صوريتة على صورة الفكر ومادته معا وفى وقت واحد لأنه لم يستطع التمييز بينهما، والمناطقة الوضعيون كما يقول هويدى صوريون لأنهم يعنون بانسجام الفكر فى بناء الحقيقة الموضوعية، وهو أمر وثيق الصلة أو الأرتباط بحرية عالم المنطق وعالم الرياضيات فى وضع ما يشاء من تعريفات ومصادرات، وهم صوريون أيضا لأنهم يوجهون انتباههم إلى

الهيئة العامة التى تكون عليها ألفاظ القضية ضاربين الصفح عن هذه الألفاظ وعن معناها فى الوقت نفسه.[٣٩]

وكان من الطبيعى أن يختلف مفهوم الواقع عند هويدى عن مفهومه فى الفكر الذى قدمه أصحاب الوضعية المنطقية، فالواقع عند هويدى هو جملة الوقائع الفعلية العيانية والتجارب العملية والمواقف الإيجابية التى يتألف منها الواقع الحقيقى، أما الواقع عند أصحاب الوضعية المنطقية فهو مجرد مجموعة من الوقائع المنطقية اللفظية وليس مجموعة من الأشياء، وهذه الوقائع عندهم على حد تعبير هويدى: ليست هى الوقائع النابضة بالحياة، فهم لا يصلون إلى هذه الوقائع عن طريق الواقع، إنما يصلون إليها عن طريق اللغة، فالواقعية عندهم هى الجملة أو العبارة التى بها إمكانية توليد واقعة أخرى أو عبارة أخرى تتولد عنها، وذلك باستخدام التحليل المنطقى. وبالتالى فالوقائع عندهم لا تشير بحال إلى مركب الأشياء أو المصنوعات والمواقف، ومن أجل ذلك انتقدهم هويدى بقوله: إن هؤلاء يسعون إلى خلخلة العالم وتبخيره فى هذه الصيغ اللفظية.[٤٠]

ولعل ذلك وراء حرص هويدى على مواجهتهم بنفس منطقهم والتمييز بين معنى البحث فى الحقيقة الذى هو موضوع علم المنطق، والبحث عن الحقيقة أو حول الحقيقة الذى يخرج عن دائرة علم المنطق لأنه كما يرى هويدى عبارة عن بحث تقويمى يجرى بين مستويين: مستوى الشئ أو القضية التى أحكم عليه أو عليها بالصواب أوالخطأ، ومستوى المعيار الذى أزنَ به هذا الصواب أو الخطأ وأصدر على أساسه حكمى. وأن الفكر فى هذه الحالة بدلاً من أن يتخذ موضوعه من العالم والأشياء فإنه يتجه إلى ذاته ويجعل من فكره ذاتاً وموضوعاً فى الآن نفسه، من أجل دراسة وفهم الروابط والعلاقات المختلفة بين أجزاء الفكر وطرق استنباط حقيقة من أخرى معبراً عن هذا كله فى اللغة أو الرموز، وبهذا المعنى يكون علم المنطق ليس بحثاً عن الحقيقة بل هو بحث فيها، أو فى بنائها، وهو المعنى الذى عبر عنه هيدجر بقوله: إن التفكير فى الفكر يتابع فى العالم الغربى على أنه يمثل علم المنطق.

---

٣٩. يحيى هويدى: الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان. النهضة المصرية ١٩٧٢ ص ٥٨، ٥٩.

٤٠. يحيى هويدى: الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان. النهضة المصرية ١٩٧٢ ص ١٦-١٧.

ثالثا : نقد هويدى للوضعية المنطقية

وقف هويدى من الفكر الوضعى موقف الناقد البصير فصحح لهم بعض أفكارهم الخاطئة فى فهم الحقيقة والواقع وعلاقة المنطق بالأشياء، كما قام بتصحيح العديد من المفاهيم الخاطئة حول آراء كبار الفلاسفة المحدثين ابتداء من ديكارت وكانط وهيجل وباركلى، ثم اسبينوزا ورسل وفتجنشتين وسائر الوضعيين المناطقة. ومن هذه الإنتقادات:

١- انتقد موقفهم من المثالية والفلسفة التقليدية وفهمهم الخاطئ لمعنى التجربة، وفى هذا يرى هويدى أن غاية الوضعية المنطقية من دخول ميدان الدراسات التجريبية هو تشكيكنا فى اليقين التجريبى، وإمكان قيام التجربة الحقيقية، لأنهم يتحدثون فقط عن التجربة اللفظية، أو التجربة الغير ممكنة، فالتجربة عندهم محتملة وتتعلق بقوانين الطبيعة التى توصف بواسطة الإمكانية المنطقية ووصف الواقعة فى عبارات، وذلك لأن الإمكانية الوحيدة المشروعة عندهم هى الإمكانية المنطقية اللغوية. وقد قرر هويدى أن هذا المفهوم يختلف كثيراً عن مثالية كانط عندما تحدث عن إمكانية التجربة الفعلية فى الواقع.

٢- كما انتقد هويدى فهم الوضعية الخاطئ لفكرة اسبينوزا عن استقلالية الحقيقة وعلاقة الدراسات المنطقية بالواقع لأنهم فهموا ذلك بمعنى الاستقلال التام أو الانفصال بين الحقيقة والواقع. ويدافع هويدى عن رأى اسبينوزا فى الحقيقة وخصائصها ومدى مطابقة الحقيقة بالواقع وأنها ليست فى خصام أو استقلال تام عنه، وذلك لأن الحقيقة باطنة فى الفكرة الصحيحة، وأن العقل قادر على الوصول إلى هذه الحقيقة عن طريق تأمله فى ذاته وأفكاره وفى العلاقات التى تربط هذه الأفكار وما يتولد عنها من أفكار متجددة، وأن الحقيقة تحمل معها دليل صدقها، لأن الفكرة الحقيقية هى الفكرة المكتفية بذاتها، وبالتالى فإن الحقيقة عند اسبينوزا هى التى تقوم على انسجام الفكر مع نفسه واستقلاله عن الواقع مع عدم تعارض هذا الفكر مع الواقع فى نفس الوقت.

ومعنى ذلك أن هويدى ينتقد موقف الوضعية لأنها ألغت الواقع المادى والأشياء، وفى نفس الوقت يؤيد موقف اسبينوزا من الحقيقة، وقوله بأنها باطنة فى الفكرة الصحيحة التى يصل إليها العقل بتأمله فى ذاته وأفكاره

والعلاقات التى تربط بين الأفكار والتى يتولد عنها أفكار جديدة،كما يؤيد تصور اسبينوزا للحقيقة المنطقية باعتبارها مستقلة عن الواقع، وأنها تحتفظ دائما بكيانها المنطقى الأصيل، والذى يعنى توافق الفكر مع ذاته، ولأن هذه الأفكار تحمل معها دليل صدقها، ومع أن قول أسبينوزا يشير إلى رفض المعيار الخارجى الذى ترفضه الوضعية، فأنه يقول صراحة أن أمور التجربة والواقع ليست موضوعات للحقيقة، وأن هناك هوة واسعة بين ما يجرى فى عالم الواقع المادى وما يقع فى عالم الفكر، فالطبيعة هى الجوهر والجوهر يعنى الله، وهذا ما يرفضه هويدى بشدة لأنه يشير إلى التجسيم الإلهى وحلوله المادى فى عالم الطبيعة والإنسان.

٣- انتقد هويدى موقف الوضعية المنطقية من القيم الأخلاقية وإنكارها لوجود العقول الأخرى، كما تنكر واقعية الكليات وخصائص المادة والعلاقات القائمة بين الشئ والآخر، وأنهم يرفضون الأخلاق لأن النظريات الأخلاقية فى مجموعها جملة من الأوامر والنواهى التى يصعب التحقق منها لأنها مجرد عبارات وصفية وأحكام تقريرية أقرب إلى العبارات الميتافيزيقية، ومع ذلك يكتشف هويدى ومن بعده فينبرج فى كتابه ميتافيزيقا الوضعية المنطقية: أن الوضعية المنطقية فشلت فى تحطيم الميتافيزيقا، وأن بعض جوانب فلسفتها تتضمن العديد من القضايا الميتافيزيقية والأحكام القيمية الخلقية والجمالية التى كانت ترفضها.[٤١]

٤- انتقد هويدى موقف الوضعية المنطقية من مبادئ التحقيق مثل مبدأ الوجود المنطقى واللفظى ومبدأ الصورية ومبدأ التحقق الصورى، ورأى أن تلك المحاولات عندهم لم تمر بالواقع الفعلى من أجل إثبات التحقق أو الصدق، وذلك لأن مفهوم الواقع والخبرة الحسية عندهم لا يعنى سوى جملة الألفاظ التى تحمل دلالات أو معان معينة، واستشهد هويدى على رأيه بما ذكره شليك فى المعنى والتحقق ومعنى إمكانية التجربة الحسية بوصفها الإمكانية المنطقية فحسب.

٥- انتقد هويدى رأى الوضعية المنطقية فى معيار الصدق وكيفية تطبيقه على قضايا المنطق والرياضيات دون غيرها، وعاب عليهم إنكارهم للفهم

---

٤١. مقالة محمد محمد مدين: الوضعية المنطقية رؤية واقعية. فى مجلة أوراق فلسفية. عدد ٤،٥ ٢٠٠١ ص ٩٠-٩٤.

العام لقضايا الواقع، وأنهم فى كثير من أحكامهم المنطقية يخلعون على العدم وجوداً، أو حدوداً مثل ألفاظ العنقاء والمربع الدائرى فهى عندهم حدود لها وجود مفهوم، وأن ذلك هو شرط تصديقنا للقضية عندهم، ومعنى ذلك أن للعدم وجوداً موضوعياً داخل نسيج الوجود المنطقى اللفظى. ولذا أطلق هويدى على فلاسفة الوضعية المنطقية عدة مسميات: فهم فلاسفة إسميين، وأنهم فلاسفة للعدم، وذلك لأنهم لا يعنون بالمعنى والدلالة قدر عنايتهم بالألفاظ التى تشير إلى موضوعات أو جزئيات محددة تشير إليها. فالقضية عندهم مقطوعة الصلة بمفهومها وغير مقضى فيها بشئ، أى أنها لا تحمل حكماً ولا قضاءً ولا نسبة بين ألفاظها وذلك لأن القضية عندهم مجرد وجود لفظى منطقى ولا تشير إلى موقف بعينه ولا مغزى محدد بل تتضمن فقط إمكانية التعبير عن هذا المغزى.

٦- انتقد هويدى مبدأ الصورية الذى انتهجته الوضعية المنطقية وهو المبدأ المتعلق بالقضايا المنطقية والرياضية والتى تسمى بقضايا التحصيل الحاصل، فالصورية عند هويدى تعنى الهيئة العامة للعلاقات القائمة بين الكلمات فى الجملة الواحدة بصرف النظر عما تشير إليه هذه الكلمات من معنى. ولا شك أن هذا المفهوم هو الذى دفع هويدى إلى نقد صورية المناطقة وعدم اهتمامهم بالعلاقة بين صدق القضية وطبيعة العالم الخارجى، واعتبار القضية مجرد حكم أو شكل، كما انتقد تراجعهم عن استخدام مبدأ اليقين أو الصدق القائم على الإدراك العقلى وتماسك الفكر وانسجام بنائه الداخلى الذى لا يتعارض بحال مع هذا الوضع. وأوضح هويدى موقفه بقوله: إن الصورية لا تعنى شيئاً آخر غير اتساق الفكر مع نفسه لا مع الواقع وما يستوجبه ذلك من طرح السؤال الهام الذى تجاهلته الوضعية المنطقية وهو: هل اتساق الفكر مع نفسه مما يتناقض مع الواقع؟.[٤٢]

٧- انتقد هويدى مبدأ الضرورة فى القضية الرياضية وما يترتب عليه من إهمال الوظيفة الاجتماعية للمنطق، وفى هذا الإطار أخذ هويدى برأى كانط الرافض لقول الوضعية بأن القضية الرياضية تحليلية والتى يطلق عليها هويدى مسمى تركيبية ضرورية أولانية، وعلة ذلك عنده أن الوقائع الرياضية ليست خاضعة لهوى أو نزوات العالم الرياضى، بل إنها تبدو أمامه وكأنها لا قبل له باختيار غيرها، فهى مفروضة عليه فرضاً وهذا الفرض هو

---

٤٢. يحيى هويدى: الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان. النهضة المصرية، ١٩٧٢ ص٥٠د

الضرورة المنطقية، فالضرورة ليست إلزاماً من الواقع بل مرجعها عندهم للألفاظ واللغة، فالوضعية المنطقية تتجاهل عن عمد مبدأ الضرورة المنطقية مع الواقع. وكان هدف هويدى من ذلك هو إثبات مدى توافق الفكر مع نفسه من جهة وتوافقه أيضاً مع الواقع من جهة ثانية وهو ما يسميه التطابق مع الواقع، وهذا التطابق هو الذى يجب أن يبحثه علم المنطق والرياضيات، لأن علم المنطق هو العلم الذى يبحث فى بناء الحقيقة أو فى الفكر من حيث توافقه مع نفسه وانسجامه الذاتى واتساقه الداخلى، وتلك هى السمة المعيارية التى يمكن أن يوصف بها علم المنطق، فعلم المنطق كما يقول هويدى لا يبحث كعلم النفس فى طبيعة الفكر بل يبحث فى أخلاق الفكر وأنه ليس علماً بما عليه التفكير فى مجراه الواقعى أو بالترابط القائم بين العمليات الشعورية، بل هو علم بما يجب أن يكون عليه الفكر فى وجوده المثالى.[٤٣]

٨ـ انتقد هويدى موقف الوضعية المنطقية من نظرية الأوصاف المحددة، التى أوقعتهم فى تناقضات الواقع والوهم وجعلتهم يتحدثون عن كائنات وهمية لا يمثلها أى أفراد فى الوجود الواقعى الملموس، وجعلتهم يخلطون فى العبارات مثل عبارة: قابلت رجلاً وهى عبارة تتحدث عن شخص واقعى، وعبارة أخرى تتحدث عن أشياء لا وجود لها مثل عبارة :قابلت غولاً. وهى عبارة لا تصدق دالتها ولا على فرد واحد على الأقل.

ويستشهد هويدى بالقضايا المنطقية التى يرددها كل من رسل وفتجنشتين ويصعب وصفها بالصدق أو الكذب بسبب مغزاها الباطنى الذى لا يحمل دلالة خارجية أو موضوع يشير إليه،كما يستشهد بما أورده فتجنشتين فى الرسالة المنطقية عن الشروط الواجب توافرها فى الأفكار المنطقية السليمة وعلاقات اللزوم والإرتباط بين الأفكار والكلمات والجمل وما تدل عليه من معنى، ووجوب استعمال الجمل التى تحمل دلالة الصدق أكثر من دلالتها على الكذب، كما انتقد هويدى فى نفس الوقت قول فتجنشتين أن الواقعية هى الجملة أو كل عبارة تحمل معنى، وقول رسل أن العلم جملة من الوقائع التىَ يمكن التعبير عنها فى جمل لغوية، كما رفض هويدى قولهم بأن العبارة الوضعية عبارة عن دالة قضية تتحدث عن مجهول. فرأى هويدى ضرورة استبدال فرد معلوم بذلك المجهول قبل أن نجعل منها كلاماً يقبل الجدل، وأن العبارات الوضعية الخاصة هى التى لا تنطبق إلا على فرد

٤٣. المرجع السابق. ص ١١،١٢،١٧.

واحد لاتسامها بالتخصيص. لذلك تعقب هويدى تحليل العبارات الوصفية المحددة ليبين أنها لا تعنى فى الحقيقة أكثر من تحصيل حاصل سواء كان لها مقابل فى الخارج أولاً، فهى لا تشير إلى موضوع محدد أو شخص محدد يحمل اسم علم.[٤٤]

٩- انتقد هويدى فهم الوضعية المنطقية للعلاقة بين القضية المنطقية والمعتقد، وذلك لأن المعتقد ليس هو ما أعتقده أنا فقط، بل ما يعتقده الآخرون معى، ولأن اتفاق الآخرين معى حول معتقد ما لا يتم اعتباطاً أو مواضعة، إنه لا يتم عن طريق التفاهم بل عن طريق الفهم، مع ما فى ذلك من تباين. ويحدد هويدى نقطة الخلاف بينه وبين الذرية المنطقية عند رسل وفتجنشتين فى الإجابة على التساؤل: هل علم المنطق لغة للتخاطب السرى بين مجموعة من الناس؟ أم أنه علم للتخاطب العام وللفهم المشترك بين جميع الناس؟.

وكانت الغاية الواضحة من ذلك عند هويدى إثبات أن المنطق علم مفيد لجميع الناس وليس لفئة من الخواص، وأن فائدته لا تتحقق إلا إذا أصبح المنطق لغة عامة للتخاطب والفهم بين جميع الناس، وهو فى ذلك ينتقد الوضعية المنطقية التى جعلت من لغة المنطق رموزاً للتخاطب وليس للفهم، لأن الفهم هو لغة الرموز التى لها مرموزات فى الواقع، وهو لغتى مع جميع الناس ودليل ذلك كما يقول هويدى: إننى أطمع من وراء هذا الكتاب مثلاً أن يفهمنى الناس وأن يصدقوا ما جاء به وهذه هى قضية الصدق، وأطمع أيضاً أن يعتقدوا ما أعتقده وهذه هى قضية المعتقد، وأطمع أن يكون متداولاً بين جميع الناس وبين كل المثقفين وهذه هى قضية الآخرين، بالإضافة إلى أننى لم أكتب هذا الكتاب لتصبح القضايا التى نوقشت فيه لغة التخاطب السرى بين مجموعة معينة من الناس بل لأنه أصلاً كتاب فى علم المنطق لتصبح قضاياه لغة للتخاطب والتفاهم بين جميع الناس، والأساس الذى يعتقده جميع الناس.

ومعنى ذلك أن قضية المعتقد كدلالة على الصدق كانت الشغل الشاغل لدى فلاسفة الواقعية من جهة وأصحاب المدرسة الذرية المنطقية التى تزعمها كل من مور ورسل وفتجنشتين من جهة ثانية،ونحن نلاحظ أن هويدى كان أكثر حرصاً على مناقشة هذه القضية خاصة بعد أن عرضها

٤٤. محمد محمدى سليمان: مجلة أوراق فلسفية ٢٠٠١ ص ١٢٦-١٢٨.

رسل فى محاضراته التى حملت اسم: فلسفة الذرية المنطقية. وقدم هويدى العديد من الملاحظات والانتقادات التى عرضناها من قبل، كما قدم لهم العديد من التساؤلات المنطقية ذات الصبغة النقدية منها: كيف استبعد رسل النظرية السلوكية البرجماتية التى يتضاءل عند أصحابها المعتقد وهو يتحدث عن المنطق والمعتقد لينتقل به من ميدان المنطق إلى ميدان علم النفس وعالم الشعور الباطنى، حيث من الصعوبة إيجاد معيار ثابت نقيس به المعتقد الفاسد من غير الفاسد، وهو ما افترضه مور تحت مسمى معيار الصدق على اعتبار أن الصدق حالة أو واقعة فى الكون تجعلنى أصف هذا المعتقد أو ذاك بأنه فاسد أو غير فاسد. وهذا الرأى قد وافق هويدى مور عليه، وفى نفس الوقت عاب على رسل فصله بين المعتقد ووجود الأشياء أو الموجودات لأن المعتقد ليس شيئاً بل علاقة منطقية فحسب وليست علاقة وضعية يمكن أن يعبر عنها بألفاظ أو بجملة لغوية فحسب، أما فى حالة المعتقد الخاطئ فسيصبح المعتقد تعبيراً عن إيمانى بوجود اللاوجود أو وجود العدم. وهذا ما لم يوافقهم هويدى عليه.[٤٥]

٤٥. يحيى هويدى: الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان. النهضة المصرية، ١٩٧٢ ص٥٢-٥٦.

obeikandl.com